العدد الثالث عشر
السنة السابعة - المجلد الأول

محرم 1445هـ
يوليو 2023 م

مجلة التراث النبوي

مجلة علمية نصف سنوية محكمة، تعنى بمخطوطات السنة النبوية
وعلومها وما يتصل بها من دراسات

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

{الحشر - 7}

العدد ١٣
وقف السنة والتراث النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الموضوعي

باب يعنى بالدراسات المتعلقة بالموضوعات
والقضايا التي تناولتها السنة النبوية

أحاديث النور المتعلقة بالصلاة
(دراسة موضوعية)

د. عبد المجيد بن عمر الزُّبيدي

https://doi.org/10.36772/ATANJ.2023.11

ملخص البحث

هذا البحث فيه جمعٌ للأحاديث النبوية التي تربط بين عبادة الصلاة وبين النور، وشرحٌ وإيضاحٌ لمعاني النور الذي وُصِفت به هذه العبادة الجليلة، وفيها بيانٌ كذلك لأنوار الصلاة المتعددة، فهي نورٌ لقلبِ صاحبِها وبصيرتِه، ونورٌ له في وجهه في الدنيا والآخرة، ونورٌ لأعضاء المتوضئ وسِيما يُعرَف بها يوم القيامة، والمَشْيُ إليها في الظُّلَم يستحقُّ به صاحبُه النُّورَ في مواقف يوم القيامة، وهي كذلك نورٌ لصاحبها في قبره، وغير ذلك من المعاني المذكورة في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:

أحاديث، النور، الصلاة، دراسة، موضوعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ النفوس السويّة قد جُبِلت على حُبِّ النور والنفورِ من الظلام، ولهذا فإنَّ الله تعالى يقول ممتنًّا على عباده المؤمنين: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ﴿٢٥٧﴾] وإنه عند التأمل في مصطلح النور المذكور في القرآن والسنة نجده مرتبطًا بأشياء عديدة، ومن أبرز هذه الأشياء عبادة الصلاة، فقد جاء في عدة أحاديث بيان ارتباط هذه الشعيرة بالنور في سياقات مختلفة.

هدف البحث:

بناءً على ما تقدم فقد أحببتُ أن أذكر النصوص الواردة في السنة، والتي فيها الربطُ بين عبادة الصلاة وبين ذِكْر النور فيها، ليكون المسلم أكثر تعلُّقًا بهذه العبادة العظيمة، وليكون على استشعارٍ تامٍّ لمعاني النور المرتبطة بها.

منهج البحث:

والمنهج الذي سِرتُ عليه في البحث أني قسَّمتُ هذه الأحاديث على عدة مباحث، واجتهدتُ في ترتيبها ترتيبًا موضوعيًّا، وقمتُ بتخريج هذه الأحاديث مكتفيًا بالعزو إلى الصحيحين في حال كون الحديث فيهما أو في أحدهما، وذلك لإجماع العلماء على قبول ما فيهما في الجملة، وإن كان في غيرهما: فإن كان فيه ضعفٌ أو علةٌ بيَّنتُ ذلك على وجه التوسط، وإلا فإني أكتفي بالعزو أيضًا،

مع بيان غريب ألفاظ هذه الأحاديث وشيءٍ من فِقْهها ومعانيها، مما يحصل به مقصود هذا البحث.

خطة البحث:

جعلتُ هذا البحث في مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة، على التفصيل التالي:

المقدمة: وفيها ذكر هدف البحث ومنهجه والخطة التي سرتُ عليها.

المبحث الأول: ما جاء في وصف الصلاة بأنها نور.

المبحث الثاني: ما جاء في أنَّ الصلاةَ نورٌ لصاحبها في قبره.

المبحث الثالث: ما جاء في أنَّ المشي إلى المساجد نورٌ لصاحبه يوم القيامة.

المبحث الرابع: ما جاء في إسباغ الوضوء، وأنّه نورٌ لأعضاء المتوضئ يوم القيامة.

المبحث الخامس: ما جاء في أدعية النور التي تقال في الصلاة وعند الخروج إليها.

المبحث السادس: ما جاء في أنَّ المحافظة على الصلاة نورٌ للمؤمن يوم القيامة.

المبحث السابع: ما جاء في أنَّ الصلاة عند دخول البيت نورٌ للبيت.

الخاتمة: وفيها بيان أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: ما جاء في وصف الصلاة بأنها نور

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ[1]

(١) الطّهور: ضُبِطتْ بفتح الطاء «الطَّهور» وبضمها «الطُّهور»، وجمهور أهل اللغة على أنها بالفتح اسمٌ للماء الذي يُتطهَّر به، وبالضم الفعلُ الذي هو المصدر، يقال: تطهَّر طُهورًا، وتوضأ وُضوءًا، ونُقِل عن بعضهم الفتحُ فيهما -أي: في الاسم والمصدر-، ونُقِل عن بعضهم الضَّمُّ في الموضعين. انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٣٢١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ١٤٧)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٠٠).
وقد تعددت أقوال العلماء في بيان المراد بكَوْنِ الطهور شطرًا للإيمان، وأمثل هذه الأقوال قولان: أحدهما أنَّ الطهارةَ نظافةٌ حسية للظاهر في حين أنّ الإيمان طهارة معنوية للباطن، وثانيهما أن المقصود بالإيمان هنا الصلاة، فقد سمّاها الله إيمانًا في قوله: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس. والطهارة هي أعظم شروط الصلاة، ولذلك وُصِفتْ بأنها شطر الصلاة.

شَطْرُ الْإِيمَانِ، والْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ، والصَّلَاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[(١)].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، والصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ، والصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

ففي هذين الحديثين وصفُ الصلاة بأنها نورٌ، وهو شاملٌ لمَعانٍ عديدة ذكرها العلماء لا يمتنع حملُها على جميع ما ذكروه؛ إذْ لا تعارض بين هذه المعاني، بل هي مُكمِّلةٌ لبعضها، ولها من النصوص ما يشهد لها[(٣)].

انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (١/ ٤٧٢)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ١٥٥)، وشرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٠)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٦٣١)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٤١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم (٢٢٣) من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلّام عن أبي سلّام عن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه-. وهذا الحديث مما استدركه الدارقطنيُّ على مسلم في الإلزامات والتتبع، (ص١٦٠)، وذكر أنّ هناك انقطاعًا في سنده فإنّ أبا سلّام -وهو ممطور الحبشي- لم يسمعه من أبي مالك الأشعري، وإنما سمعه من عبد الرحمن بن غُنم الأشعري عن أبي مالك، وهكذا رواه معاوية بن سلّام عن أخيه زيد عن أبي سلّام عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي مالك به.
وهذا الطريق الآخر أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء شطر الإيمان، برقم (٢٨٠) وابن حبان في صحيحه، باب الأذكار، برقم (٨٤٤) وقال ابن عمار الشهيد في كتابه علل الأحاديث في صحيح مسلم، (ص٤٥): رواه معاوية عن أخيه يزيد، ومعاوية كان عندنا أعلم بحديث زيد بن سلّام من يحيى بن أبي كثير.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠) من حديث ابْن أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَبِي عِيسَى الْحَنَّاطِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- به. وفي إسناده عيسى بن أبي عيسى الحناط، ميسرة الغفاري، وهو ضعيف متروك الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥)، وتقريب التهذيب، (ص٧٧٠)، وقد اختلف عنه فرُوِيَ هكذا، ورُوِيَ من حديث عيسى عن أبي الزناد عن الأعمش عن أنس. وروي كذلك من حديث عبدالرحمن بن قيس عن أبي الزناد عن أنس موقوفًا. انظر: العلل للدارقطني (١٢/ ١١١)، وقال الدارقطني: وهذا الاضطراب فيه من عيسى لأنه ضعيف وذِكْرُ الشعبي في الحديث الأول وهمٌ.
وأخرجه محمد بن نصر في كتابه تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٠٧) من حديث واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: الصلاة نور المؤمن.
وفي إسناده واقد بن سلامة، ويقال: وافد، قال ابن أبي حاتم: ليس بالقوي في حديثه. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٥٠) وقال البخاري: واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي، روى الليث بن سعد عن ابن عجلان عن واقد بن سلامة، لم يصح حديثه. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ٣٨١).

(٣) انظر في جميع هذه المعاني: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ١٥٥)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/ ٤٧٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم

فمن هذه المعاني: أنّ الصلاة تكون نورًا له بين يدي سُبُله، بمعنى أنها بركةٌ على المصلي في حياته، فالمصلي يحظَى بالتوفيق والتسديد من ربه في أعماله الدينية والدنيوية.

ومنها: أنّ الصلاة تمنع العبد من فعل المعاصي، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وتهديه إلى الصواب، فهي كالنور الذي يُستضاء به، وهذا المعنى يشهد له قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت ٤٥]

ومنها: أنّ الصلاةَ إذا فُعِلتْ بشروطها المصحِّحة والمُكمِّلة كانت نورًا لأصحابها، تُشرِقُ بها قلوبُهم وتستنيرُ بها بصائرُهم، وذلك لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وتكون الصلاة قرَّة عينٍ لهم، كما كانت قُرَّة عينٍ لرسول الله ﷺ حيث قال: (وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ)[(١)].

ومنها: أنّ الصلاة يظهر أثرُها على وجه المصلي في بهائه وإشراقه، ومما يشهد لهذا المعنى قولُه تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩] جاء عن مجاهد قولُه: نورٌ في وجوههم من الخشوع[(٢)]. وعن ابن جُرَيْجٍ أنه قال: هو الوقار والبهاء[(٣)]. وقال السُّدِّيُّ: الصلاة تحسِّن وجوههم[(٤)]. وقال بعضُ السلف: من كَثُرَتْ صلاتُه بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار[(٥)]. وسُئِل الحسن البصري فقيل له: ما بالُ المُتهجِّدينَ أحسَنُ الناسِ وُجُوهًا؟ فقال: لأنهم خَلَوْا بالرحمن فألبَسَهُمْ نورًا من نوره[(٦)].

(٣/ ١٠١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٦٤٤)، ومرقاة المفاتيح لمُلّا علي القاري (١/ ٣٤٢)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن عِلّان (١/ ١٤٩).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/ ٣٠٥)، والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، برقم (٣٩٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٤).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦١).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٥).

ومنها: أنّ أهل الصلاة يكون على وجوههم نورٌ ظاهرٌ يوم القيامة، وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩] أنَّ هذه السِّيما هي نورٌ يغشى وجوههم يوم القيامة، قال ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة[١]. وقال مقاتل: النور يوم القيامة[٢]. وقال الحسن: بياضًا في وجوههم يوم القيامة[٣].

ومما يشهد لهذا المعنى ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ حَيْثُ كَانَ، وأَيْنَمَا كَانَ؛ أَجَازَ الصِّرَاطَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالبَرْقِ اللاَّمِعِ في أَوَّلِ زُمْرَةٍ مِنَ السَّابِقِينَ، وجَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ ووَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»[٤].

ومن المعاني أيضًا: أنها تكون نورًا لصاحبها في قبره، وتكون نورًا له يوم القيامة، وهذه المعاني لها أدلتها التي سنذكرها -إن شاء الله- في المباحث القادمة، وسيأتي أيضًا مزيدُ بسطٍ وتفصيلٍ لهذه المعاني.

قال ابنُ علَّان: قيل: ويمكن حمل النور على جميع ما تقدم من حقيقة اللفظ ومجازه على قاعدة الشافعي[٥].

وذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم أنّ هذه الثلاثةَ الأعمالَ وهي الصلاة والصبر والصدقة أنوارٌ كلها، كما جاء في الحديث: «والصَّلَاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ»، لكنَّ الصبرَ والصدقةَ يختصَّان بنوعٍ من أنواع النور، وأما الصلاة فهي نورٌ مطلقٌ[٦].

قال ابنُ القيِّم: ولَمَّا كَانَتْ الصَّلَاة مَرْكَزَ الْإِيمَان وأَصْلَ الْإِسْلَام ورَأْسَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٢).
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم (٦٦٤١) و (٦٦٥٦)، وأعَلَّه ابنُ أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٤٦)، وقال الدارقطني في العلل (٨/ ٣٠): ولا يثبت هذا الحديث. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٤٦): خرَّجه الطبرانيُّ بإسنادٍ فيه نظرٌ.
(٥) انظر: دليل الفالحين (١/ ١٥٠).
(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٤٤).

الْعُبُودِيَّة ومَحَلَّ الْمُنَاجَاة والْقُرْبَة إِلَى الله وأَقْرَب مَا يَكُون الْعَبْد مِنْ رَبّه وهُوَ مُصَلٍّ وأَقْرَب مَا يَكُون مِنْهُ فِي صَلَاته وهُوَ سَاجِد؛ كَانَتْ الصَّلَاةُ نُورَ الْمُسْلِم[(١)].

المبحث الثاني: ما جاء في أنَّ الصلاةَ نورٌ لصاحبها في قبره

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ- فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[(٢)].

وعند البيهقيِّ أنها امرأةٌ وأنَّ كنيتها أمُّ محجن، وفي آخره قالﷺ: «فَإِنَّ صَلَاتِي عَلَى مَوْتَاكُمْ نُورٌ لَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ»[(٣)].

ففي هذا الحديث أنهﷺ صلَّى على هذا القبر بعدما دُفِن صاحبُه، ثم بيَّن أن صلاته على هؤلاء الموتى تُنير لهم قبورهم.

وقد اختلف العلماء: هل هذا العمل -وهو الصلاة على الميِّت بعدما يُدفَن- خاصٌّ بنبيِّناﷺ أمْ هو مشروعٌ في حقِّ أمته كذلك؟[(٤)]، والذي عليه أكثر العلماء أنّ ذلك غير خاصٍّ بهﷺ.

قال البغويُّ: وهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، أَنَّهُ

---

(١) انظر: تهذيب سنن أبي داود المطبوع مع عون المعبود (١٣/ ١٦٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، برقم (٩٥٦) وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كَنْسِ الْمَسْجِدِ والتِقَاطِ الخِرَقِ والْقَذَى والعِيدَانِ، برقم (٤٥٨) وكتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعدما يُدفن، برقم (١٣٣٧)، ولم يخرج البخاريُّ هذه الزيادةَ في آخره: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»، قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٥٣): «وإِنَّمَا لَمْ يُخَرِّج الْبُخَارِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ؛ لِأَنَّهَا مُدْرَجَةٌ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، وهِيَ مِنْ مَرَاسِيل ثَابِت، بَيَّنَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَاب حَمَّادِ بْن زَيْد، وقَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ فِي كِتَاب بَيَان الْمُدْرَج». وانظر: السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٧٧ ٧٨).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَمَا يُدْفَنُ الْمَيِّتُ، برقم (٧٠٢٠)، وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٥٣).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٣١٧)، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ٢٧٤)، والمُحَلَّى لابن حزم (٣/ ٣٦٤)، والمغني لابن قدامة (٢/ ٣٨١)، ونيل الأوطار للشوكاني (٤/ ٦٤).

يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى الْقَبْرِ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ والشَّافِعِيِّ وأَحْمَدَ وإِسْحَاقَ، وذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُصَلَّى عَلَى الْقَبْرِ، وبِهِ قَالَ مَالِكٌ[١].

والمقصودُ من إيراد هذا الحديث؛ الإشارةُ إلى أنَّ الصلاة على الميّت لها أثرها إن شاء الله في تنوير قبره. قال الشوكاني: ومُجَرَّدُ كَوْنِ اللهِ يُنَوِّرُ الْقُبُورَ بِصَلَاتِهِﷺ عَلَى أَهْلِهَا لا يَنْفِي مَشْرُوعِيَّةَ الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ لِغَيْرِهِ، لا سِيَّمَا بَعْدَ قَوْلِهِﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[٢].

وإذا ثبت ذلك فإنَّ صلاة الإنسان وهو حيٌّ سيكونُ من آثارها حصول النور له في قبره -والله أعلم-، ومما يؤيّد ذلك فهم الصحابة -رضي الله عنهم-، فقد جاء عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنه قال: صلُّوا ركعتين في ظُلَمِ اللَّيلِ لِظلمة القبور[٣]. وقال أبو ذر -رضي الله عنه-: صَلُّوا رَكْعَتَيْنِ في سَوَّادِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ[٤].

المبحث الثالث: ما جاء في أنَّ المشي إلى المساجد نورٌ لصاحبه يوم القيامة

عَنْ بُرَيْدَةَ بن الحُصَيبِ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّﷺ أنه قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٥].

قوله: «بشِّر» هذا من الخطاب العام، ولم يُرِدْ به أَمْرَ واحدٍ بعينه، فهو

---

(١) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (٥/ ٣٦٢).

(٢) انظر: نيل الأوطار (٤/ ٦٤).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٤٦).

(٤) انظر: حلية الأولياء (١/ ١٦٥).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب مَا جَاءَ فِي الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الظَّلَامِ، برقم (٥٦١)، وفي إسناده إسماعيل بن سليمان الكحال، وهو صدوق صالح الحديث يُخطِئ. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١٠٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٥٤)، وتقريب التهذيب (ص١٤٠).
وفيه عبدالله بن أوس الخزاعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: وُثِّق. وقال ابن حجر: ليِّن الحديث.
انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٣١٦)، والكاشف (٣/ ٩٠)، وتقريب التهذيب (ص٤٩٢). وقد رُوِيَ هذا الحديث من طريق عددٍ من الصحابة، ومنهم أنس وسهل بن سعد وابن عباس وأبو الدرداء وأبو أمامة وغيرهم، رضي الله عنهم. ولهذا ذكره السيوطي في كتابه «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة». وذكر ابن رجب في فتح الباري (٦/ ٣٥) أن إسناد أبي داود هو أَجْوَدُ أسانيده.

خطابٌ لكل من يتولى أمر تبليغ الدين وبيانه للناس[(١)]. والمشّاء صيغة مبالغة، وهو الذي يكثر المشي إلى المساجد.

ففي هذا الحديث بشارة لهم بالنور التام يوم القيامة، قال الطِّيبي: في وَصْفِ النُّورِ بالتَّامِّ وتَقْيِيدِهِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ تَلْمِيحٌ إِلَى وَجْهِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم ٨] وإِلَى وَجْهِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣][(٢)]. فكلامُ الطِّيبي هُنا فيه تفسيرٌ لهذا النور بما تقدّم في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩] وهو أنه نورٌ في وجوه المؤمنين يُعرَفون به يوم القيامة.

وقال بعض أهل العلم: المقصود بالنور هنا أنه نورٌ يحيط بهم من جميع جهاتهم حين مرورهم على الصراط يوم القيامة، وهذا مكافأة لهم بجنس عملهم، لِمَا قاسوا من كثرة المشي إلى المساجد في الدنيا رغم الظلام والمشقة[(٣)].

قلتُ: ولا مانع من حمل هذا النور على كلا المعنيين، ففضلُ الله واسع، ومن دلالات قولهﷺ: «النور التام»؛ أن يكون هذا النورُ ملازمًا لهم في كل أحوالهم يوم القيامة، والله أعلم.

ومن لطائف معاني هذا الحديث أنَّ المشيَ في الظُّلَم إلى المساجد هو ممَّا يَنشَطُ له أهل الإيمان، بخلاف المنافقين الذين أخبر رسول اللهﷺ عنهم أنَّ أثقل الصلوات عليهم صلاةُ الفجر وصلاةُ العشاء[(٤)]، وما ذاك إلا لأنّ هاتين الصلاتين يقع وقتُهُما في الظُّلْمة، فلا ينشط أهل النفاق للمشي إليهما؛ لأنه لا يراهم أحدٌ،

(١) انظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي للسيوطي (١/ ١٣٢).
(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٠٦).
(٣) انظر: تحفة الأحوذي (٢/ ١٣).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، برقم (٦٥٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، برقم (٦٥١).

وهم لا يقومون للصلاة إلا رياءً وسمعةً[(١)]. ولهذا فإنَّ صلاة المؤمنين لما كانتْ خالصةً لله في الدنيا، ولمَّا كانت تامَّةً من حيثُ المحافظة عليها؛ كان نورُهم تامًّا يوم القيامة، ولما كانت صلاة المنافق رياءً وسمعةً؛ فإنَّ نورَه ينطفئُ يوم القيامة، قال تعالى في شأن المؤمنين: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد ١٢] وقال في شأن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد ١٣ ١٤ ١٥]

وهذا النور يكون عند المرور على الصراط، قال الضحاك: لَيْسَ من أحدٍ إِلَّا يُعْطَى نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الصِّرَاطِ طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأَ نُورُهُمْ كَمَا طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: رَبَّنَا، أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا[(٢)].

وقيل: يكون في عَرَصات[(٣)] يوم القيامة عمومًا، ومنها الصراط، قال ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: بَيْنَمَا النَّاسُ في ظُلْمَةٍ، إِذْ بَعَثَ اللهُ نُورًا؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ النُّورَ تَوَجَّهُوا نَحْوَهُ، وكَانَ النُّورُ دَلِيلًا مِنَ اللهِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِ انْطَلَقُوا، تَبِعُوهُمْ، فَأَظْلَمَ اللهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا حِينَئِذٍ: انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ في الدُّنْيَا؛ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ

(١) انظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص٦١).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٥).
(٣) العَرَصَات: جَمْعُ عَرْصَة، وهِيَ كلُّ موضِعٍ وَاسِعٍ لا بِناءَ فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٨).

جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ، فَالْتَمِسُوا هُنَالِكَ النُّورَ[(١)]. وسيأتي مزيد إيضاحٍ لهذا في المبحث السادس.

وكما أنَّ هذا الثوابَ والنورَ التامَّ هو من الكرامات التي يحظى بها المكثرون من المشي إلى المساجد يوم القيامة، فكذلك حصل لبعضِ صحابةِ رسول اللهﷺ شيءٌ من هذا في الدنيا، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- «أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، ومَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ»[(٢)].

وهذان الصحابيان هما عبّاد بن بِشر وأُسيد بن حُضير -رضي الله عنهما-[(٣)]. قال ابن بطّال: فجعل لهم منه في الدنيا، ليزدادوا إيمانًا بالنبي مع إيمانهم، ويُوقِنَا أنْ كذلك يكونُ ما وعدهم الله من النور الذى يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة؛ برهانًا لمحمدٍ -عليه الصلاة والسلام- على صِدْق ما وعد به أهل الإيمان الملازمين للبيوت التي أذن الله أنْ تُرفَع ويُذكَر فيها اسْمُه[(٤)].

وفي مستدرك الحاكم أن الصحابيَّ أبا عبس الأنصاريَّ كَانَ يُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهﷺ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ فَنُوِّرَ لَهُ فِي عَصَاهُ حَتَّى دَخَلَ دَارَ بَنِي حَارِثَةَ[(٥)].

وهذا الحديث يبين لنا أيضًا عظيم منزلة المساجد التي أمر الله بعمارتها، وإذا كان المشي إليها نورًا لصاحبها، فهي كذلك مقرٌّ للأنوار الرحمانية، ولذلك فإن الله سبحانه ضرب مثلًا في سورة النور لنُوره العظيم الذي يقذفه في قلوب أوليائه المؤمنين به، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، برقم (٤٦٥).
(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب منقبة أُسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر، رضي الله عنهما.
(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطّال (٢/ ١١٣).
(٥) انظر: المستدرك على الصحيحين (٣/ ٣٩٤).

فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور ٣٥]

ولمَّا كان نورُ الإيمان والقرآن أكثرُ وقوعِ أسبابِه في المساجد، ذكرها مُنوِّهًا بها[١] فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور ٣٦] قال الطبري: يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ۞ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ۞ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ(٣٦)

وقال ابنُ كثير: لَمَّا ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلَ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وما فِيهِ مِنَ الْهُدَى والْعِلْمِ، بِالْمِصْبَاحِ فِي الزُّجَاجَةِ الصَّافِيَةِ الْمُتَوَقِّدِ مِنْ زَيْتٍ طَيِّبٍ، وذَلِكَ كَالْقِنْدِيلِ؛ ذَكَرَ مَحِلَّهَا وهِيَ الْمَسَاجِدُ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ، وهِيَ بُيُوتُهُ الَّتِي يُعْبَدُ فِيهَا ويُوَحَّد، فَقَالَ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾[٢].

فالله تعالى يجعل لمن يسبح في تلك المساجد نورًا في قلوبهم، ونورًا في جميع أعضائهم ونورًا بين أيديهم ومن خلفهم في الدنيا والآخرة، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور[٣].

المبحث الرابع: ما جاء في إسباغ الوضوء، وأنه نورٌ لأعضاء المتوضئ يوم القيامة

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ[٤]، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٥٦٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣١٥).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٦٢).
(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ١١٣).
(٥) هو نُعَيم بن عبدالله، أبو عبدالله المدني، مولى آل عمر بن الخطاب، يُعرَف بالمُجمِر؛ لأنه كان يجمر المسجد، ثقة عالم، جالَسَ أبا هريرة عشرين سنة، وسمع من جابر وابن عمر وغيرهما، روى

فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ:« هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَوَضَّأُ «وقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْباغِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وتَحْجِيلَهُ». وفي لفظٍ: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[(١)].

وعنه أيضًا أن رسول اللهﷺ قال: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ[(٢)] مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، ولَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ»[(٣)].

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ[(٤)]، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ هَا هُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَا هُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِيﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ»[(٥)].

في هذه الأحاديث الثَّناءُ على المتوضِّئين من هذه الأمة، وبيانُ شيءٍ من

عنه مالك بن أنس والعلاء بن عبدالرحمن وهشام بن سعد وغيرهم، أخرج حديثَه أصحابُ الكتب الستة، توفي قريبًا من سنة ١٢٠هـ. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، برقم (٢٤٦)، واللفظ الثاني أخرجه كذلك البخاريُّ في صحيحه، كتاب الوضوء، باب فَضْلِ الْوُضُوءِ، والْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، برقم (١٣٦).

(٢) هي مدينة في ساحل البحر الأحمر الشمالي، آخر الحجاز وأول الشام، وتُعرف اليوم باسم العقبة، وهي ميناء للمملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج يُضاف إليها وهو خليج العقبة. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٩٢)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ والتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، برقم (٢٤٧).

(٤) هو سلمان الأشجعي الكوفي، أبو حازم، ثقة، روى عن أبي هريرة وابن عمر والحسن والحسين وغيرهما، وعنه منصور بن المعتمر والأعمش وغيرهما، أخرج حديثه أصحابُ الكتب الستة، توفي سنة ١٠٠هـ. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بابٌ تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ، برقم (٢٤٨).

كرامتهم يوم القيامة، وهو أنهم يُبعثون غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء، والغُرَّة هو بياضٌ يكون في وجه الفرس، والتحجيل بياضٌ في قوائمه وأطرافه[(١)]، والمعنى أن الرسول ﷺ شبَّه النورَ والبياضَ الذي يكونُ على أعضائهم يوم القيامة؛ بالنور والبياض الذي يكون على وجه الفرس وأطرافه[(٢)].

وبيَّن ﷺ في هذا الحديث أن هذه السِّيما والعلامة خاصَّةٌ بهذه الأمة، تكرِمةً من الله سبحانه لهم ولنبيه ﷺ، قال النوويُّ: وقَدِ اسْتَدَلَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْوُضُوءَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، زَادَهَا اللهُ تَعَالَى شَرَفًا، وقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَ الْوُضُوءُ مختصًّا، وإِنَّمَا الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ[(٣)].

وقال ابنُ حجر: فالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ هُوَ الْغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ لَا أَصْلُ الْوُضُوءِ[(٤)]. واستدلَّ بما جاء في رواية حديث أبي هريرة: «لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ».

وبوَّبَ ابنُ حبَّان على ذلك بقوله: ذِكْرُ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ الْعَلَامَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ لِأُمَّةِ الْمُصْطَفَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- دُونَ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ.

وقال أيضًا: ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ التَّحْجِيلَ بِالْوُضُوءِ فِي الْقِيَامَةِ إِنَّمَا هُوَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَطْ وإِنْ كَانَتِ الْأُمَمُ قَبْلَهَا تَتَوَضَّأُ لِصَلَاتِهَا[(٥)].

ومن المسائل التي يتناولها أهلُ العلم في هذا الحديث؛ مسألة إطالة الغرة والتحجيل، وهل هذا مشروعٌ في الوضوء أم لا ؟ هناك طائفة من أهل العلم يرون عدم مشروعية إطالة الغرة والتحجيل، ويستدلون بأنّ ذلك لم يُنقل عن

(١) انظر: مشارق الأنوار (١/ ١٨٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٤).
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٥)، وفتح الباري (١/ ٢٣٦).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٥).
(٤) انظر: فتح الباري (١/ ٢٣٦).
(٥) انظر: صحيح ابن حبان، باب فضل الأمة (١٦/ ٢٢٥ - ٢٢٦)، وانظر أيضًا: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٢٢١)، و (٦/ ٦١١)، والاستذكار (١/ ١٩٢).

النبيﷺ، قال ابن دقيق العيد: ولَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّﷺ ولَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ -رضي الله عنهم-، فلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ[(١)].

ويقولون: إنَّ إطالة الغُرَّة والتحجيل ثابتةٌ من فِعْل أبي هريرة -رضي الله عنه- ورَأْيِه لا من روايتِه، وأما ما جاء في رواية نُعيم المجمر وفيها: «فمن استطاع منكم أن يُطيل غُرَّتَه وتحجيله فليفعلْ»؛ فقالوا: إنها مُدرَجَةٌ من كلام أبي هريرة لا من كلام النبيﷺ، وقد جاء في مسند الإمام أحمد من حديث فليح بن سليمان عن نعيم المجمر أنه قال: لا أدري قوله: «فمن استطاع أن يُطيل غُرَّتَه فليفعلْ، مِنْ قَوْلِ رسول اللهﷺ؟ أوْ مِنْ قول أبي هريرة؟»[(٢)].

قال ابنُ حجر: ولَمْ أَرَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ فِي رِوَايَةِ أَحَدٍ مِمَّنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الصَّحَابَةِ وهُمْ عَشَرَةٌ، ولَا مِمَّنْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ غَيْرَ رِوَايَةِ نُعَيْمٍ هَذِهِ، واللهُ أَعْلَمُ[(٣)].

وقال ابنُ القيِّم: فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبيﷺ، بيَّن ذلك غيرُ واحدٍ من الحُفَّاظ... وكان شيخُنا -يعني ابن تيمية- يقول: هذه اللفظة لا يُمكِنُ أنْ تكون من كلام رسول اللهﷺ، فإن الغُرَّة لا تكونُ في اليد، لا تكون إلا في الوجه، وإطالتُه غيرُ مُمكنةٍ، إذ تدخلُ في الرأس فلا تُسمَّى تلك غُرَّةً[(٤)].

وقالوا: مما يدلُّ على هذا أنّ أبا هريرة كان حريصًا على أن لا يراه أحدٌ، كما في قوله: «يَا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ هَا هُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَا هُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ»، ولو كان عنده نصٌّ مرفوعٌ إلى النبيﷺ لَمَا تحرَّج من رؤية أحدٍ له، ولَاحْتَجَّ على أبي حازمٍ بالنص حين سؤاله له، فدلَّ هذا على أنه اجتهادٌ منه -رضي الله عنه-[(٥)].

---

(١) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٩٣).
(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (١٦/ ٤٥٤).
(٣) انظر: فتح الباري (١/ ٢٣٦).
(٤) انظر: حادي الأرواح (ص٢٠١).
(٥) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (٣/ ١٠٧).

ومن أهل العلم من يرى مشروعية ذلك، ويرى صحة الرواية المرفوعة إلى النبيﷺ في ذلك، وأنَّه قد ثبت عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان يفعل كفعل أبي هريرة -رضي الله عنه-[(١)].

المبحث الخامس: ما جاء في أدعية النور التي تقال في الصلاة وعند الخروج إليها

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ -رضي الله عنها-، فَقَامَ النَّبِيُّﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ويَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا[(٢)]، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ ولَمْ يُكْثِرْ وقَدْ أَبْلَغَ[(٣)]، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِﷺ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى ولَمْ يَتَوَضَّأْ[(٤)]، وكَانَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وفِي بَصَرِي نُورًا، وفِي سَمْعِي نُورًا، وعَنْ يَمِينِي نُورًا، وعَنْ يَسَارِي نُورًا، وفَوْقِي نُورًا، وتَحْتِي نُورًا، وأَمَامِي نُورًا،

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٤)، وفتح الباري (١/ ٢٣٦).

(٢) شناق القِرْبة هو الخيط أو السَّيْر الذي يُشَدُّ به فَمُ القِرْبة، والذي تُعلَّق به القربة، يُقال: شنق القربة وأشنقها إذا أوكأها وإذا علقها. انظر: مشارق الأنوار (٢/ ٢٥٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥٠٦).

(٣) المعنى: أنهﷺ توضَّأ وضوءًا حَسَنًا كاملاً وأسبغَ الوضوءَ، ومع هذا فإنه لم يهرق من الماء إلا قليلًا. فيحتمل أنه توضَّأ ثلاثًا مع التقليل في الماء، ويحتمل أنه اقتصر على دون الثلاث. انظر: المفهم (٢/ ٣٩٢)، وفتح الباري (١١/ ١١٦).

(٤) وهذا دليلٌ على أنّ النوم ليس بحدث بل هو مظِنّة الحدث، لأنهﷺ كان تنام عينُه ولا ينام قلبُه، فلو أحدث لأحسَّ بالحدث، ولهذا كان ربما يتوضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ، وهذا من خصائصهﷺ، وإنما كان قلبُه لا ينام؛ لأنه ربما أتاه الوحيُ منامًا على سبيل الرؤيا، ورؤيا الأنبياء حقٌّ ووَحْيٌ. انظر: فتح الباري (١/ ٢٣٩).

وخَلْفِي نُورًا، وعَظِّمْ لِي نُورًا». قَالَ كُرَيْبٌ[(١)]: وسَبْعًا في التَّابُوتِ[(٢)]، فَلَقِيتُ[(٣)] بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ[(٤)]، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ: عَصَبِي، ولَحْمِي، ودَمِي، وشَعْرِي، وبَشَرِي، وذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ[(٥)].

وفي رواية شعبة لهذا الحديث: «ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَجَعَلَ يَقُولُ في صَلَاتِهِ، أَوْ في سُجُودِهِ: «اللهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُورًا... واجْعَلْ لِي نُورًا، أَوْ قَالَ: واجْعَلْنِي نُورًا».

وفي رواية عُقَيْل بْنِ خَالِدٍ، أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ كُهَيْل، حَدَّثَهُ أَنَّ كُرَيْبًا، حَدَّثَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،... وسَاقَ الْحَدِيثَ، وفِيهِ قَالَ: ودَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَتَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، قَالَ سَلَمَةُ: حَدَّثَنِيهَا كُرَيْبٌ، فَحَفِظْتُ مِنْهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، ونَسِيتُ مَا بَقِيَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ اجْعَلْ لِي في قَلْبِي نُورًا، وفي لِسَانِي نُورًا، وفي سَمْعِي نُورًا، وفي بَصَرِي نُورًا، ومِنْ فَوْقِي نُورًا، ومِنْ تَحْتِي نُورًا، وعَنْ يَمِينِي نُورًا، وعَنْ شِمَالِي نُورًا، ومِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، ومِنْ خَلْفِي نُورًا، واجْعَلْ في نَفْسِي نُورًا، وأَعْظِمْ لِي نُورًا». وفي رواية: «اللهم أَعْطِنِي نورًا»[(٦)].

(١) هو كريب بن أبي مسلم القرشي مولاهم، مولى عبدالله بن عباس -رضي الله عنهم-، روى عن ابن عباس وابن عمر وعائشة وغيرهم من الصحابة -رضي الله عنهم-، وروى عنه سليمان بن يسار ومنصور بن المعتمر وابنه رشدين بن كُريب وغيرهم، أخرج حديثه أصحابُ الكتب الستة، تُوفي سنة ثمانٍ وتسعينَ بالمدينة المنورة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ١٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٩).

(٢) المقصود بقوله «التابوت» أي: الجسد، فشبَّه الجسد الذي يحوي هذه الخصال بالتابوت الذي يحوي ما فيه، فهذه الخصال تكون بالجسد لا بالمعاني كما في الجهات الست. وقيل: المراد بالتابوت الأضلاع وما تحويه من القلب وغيره، تشبيهًا بالتابوت الذي يُحرَز فيه المتاع، يعني: سبع كلماتٍ في قلبي ولكن نسيتُها. وقيل: بل التابوت هُنا على ظاهره وهو الصندوق الذي توضع فيه الأشياء، والمعنى أن كريبًا كتبها وهي موجودة في صندوقٍ عنده. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٥٤)، والمفهم (٢/ ٢٩٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٤٥)، وفتح الباري (١١/ ١١٧) وإرشاد الساري (٩/ ١٨٤).

(٣) القائل «لقيتُ»، قيل: هو كُريب مولى ابن عباس، وقيل: هو سلمة بن كُهَيل. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨٦)، وفتح الباري (١١/ ١١٨).

(٤) هو علي بن عبدالله بن عباس، كما جاء عند مسلم في بعض طرق هذا الحديث، وعند أبي داود والترمذي وغيرهما. وانظر: عمدة القاري (٢٢/ ١٨٧).

(٥) وهاتان الخصلتان هما: «اللسان والنفس» كما تُفيده بعضُ ألفاظ وروايات هذا الحديث في صحيح مسلم، وهي الموافقة لقوله: «في التابوت» على تفسير التابوت بأنه الجسد، وقيل: هما «العظام والقبر» لما جاء في رواية الترمذي من حديث علي بن عبدالله بن العباس عن أبيه، برقم (٣٤١٩). انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨٦)، والمفهم (٢/ ٢٩٣)، وفتح الباري (١١/ ١١٨).

(٦) أخرجه برواياته وألفاظه المتعددة مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٦٣)، والبخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم (٦٣١٦) باللفظ الأول.

هذا الحديث برواياته وألفاظه المتعددة فيه ارتباطُ النور بعبادة الصلاة، من جهة هذه الأدعية العظيمة التي كان يدعو بها عليه الصلاة والسلام إذا قام يُصَلِّي من الليل، والمقصود بالنور الذي سأله الرسولﷺ ربَّه هو نورُ الهداية والعلم، فإن الله تعالى قد وصف كتابه بأنه نُورٌ في عدة مواضعَ من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة ١٥ ١٦]، وقوله سبحانه في شأن القرآن: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى ٥٢]، ووصف الهداية إلى الحق والصواب بأنها نورٌ، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر ٢٢] ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ويكون المعنى على هذا أنه سأل ربَّه نُورًا يهتدي به إلى الحقِّ والصوابِ في أحوالِه وتقلُّباتِه كلها، وقد يُحمَل النور على ظاهره ويكون المعنى أنه سأل ربَّه نُورًا يظهر على أعضائه يوم القيامة، يستضيء به في تلك الظُّلَم، ولا تَنافِيَ بين المعنيينِ، وإنْ كان المعنى الأول أظهر[(١)].

ولمَّا كان العبدُ محتاجًا إلى نور العلم والإيمان والهداية إلى الحق والصواب في شؤونه كلها؛ فإن نبيَّناﷺ قد بالغ في سؤال ربه هذا النور، وفصَّل في دعائه ولم يُجْمِلْ، فبدأ بسؤال ربِّه النورَ في قلبه؛ لأن القلبَ مَلِكُ الأعضاء، وبقيةُ الأعضاء جنودُه وتتصرف على إرادته، وهو المضغةُ التي إذا صلحتْ صلح سائرُ البدن وإذا فسدتْ فسد سائرُ البدن، فإذا استنار القلبُ انبثَّ نُورُه في سائر البدن، وفاضَ على جميع أجزائه، ودعا رسول اللهﷺ بأنْ يجعل في لسانه وسمعه وبصره نورًا، كأنه يقول: استعملْ هذه الأعضاء مني في الحق، ودعا ربَّه بأنْ يُحيطه بالنور

(١) انظر: المفهم (٢/ ٣٩٥)، وفتح الباري (١١/ ١١٨)، ومرقاة المفاتيح (٣/ ٩٠٥).

من الجهات الستِّ عن يمينه وشماله، ومن أمامه وخلفه، ومن فوقه وتحته، كأنه يقول: واجعلْ تصرُّفي وتقلُّبي في هذه الجهات على سبيل الحق، ودعا ربَّه بأن يجعل في شعره وبشره ولحمه وعظامه ودمه نورًا، وقد يكون معنى النور في ذلك منصرفًا إلى القوت الذي به يغتذي البدن، ومنه تَستَمدُّ الأعضاءُ قُواها، فسأل الله أنْ يجعلَ رزقَه طيِّبًا، فإنَّ أكْلَ الحلال يصلحُ عليه القلب، وتَحْسُنُ معه الأخلاق، وأكْل الحرام يفسُدُ عليه القلبُ، وتخبُثُ معه الأخلاق[(١)].

والإنسان ذو سَهْوٍ وطغيان، وتعتريه ظلماتُ الجهل والشبهات والشهوات، والشيطان يحاول التسلط على قلب الإنسان وعلى لسانه وسمعه وبصره وجوارحه، ويأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن سائر جهاته ليُضِلَّه عن سواء السبيل، ولا نجاة من هذه الظلمات ومن كَيْد الشيطان؛ إلا بأنوار العلم والطاعة والهداية للعمل الصالح، التي يَمُنُّ الله بها على أوليائه فيُخرجهم بها من الظلمات إلى النور.

قال ابنُ القيِّم: والشأنُ كلُّ الشأن والفلاح كلُّ الفلاح في النور، والشقاء كلُّ الشقاء في فواته، ولهذا كان النبيﷺ يُبالغ في سؤال ربه -تبارك وتعالى- حين يسأله أنْ يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره، ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه، حتى يقول: واجعلني نُورًا، فسأل ربه -تبارك وتعالى- أنْ يجعل النور في ذرَّاته الظاهرة والباطنة، وأنْ يجعله مُحِيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاتَه وجملتَه نُورًا، فدِينُ الله -عز وجل- نُورٌ، وكتابُه نُورٌ، ورسولُه نُورٌ، ودارُه التي أعَدَّها لأوليائه نُورٌ يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نُورُ السماوات والأرض، ومِنْ أسمائه النُّورُ، وأشرقتِ الظلماتُ لنُورِ وجهِه[(٢)].

وهذه الأنوار الكثيرة التي ذكرها رسول اللهﷺ بلغتْ عِدَّتُها من مجموع الروايات أكثرَ من عشرين نُورًا، وهي: القلب والنفس واللسان والسمع والبصر

(١) انظر: شأن الدعاء للخطّابي (ص١٤٤).
(٢) انظر: الوابل الصَّيِّب (ص٥٠).

والشعر والبشر واللحم والعظام والعصب والدم، وعن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته، وأن يجعل له نُورًا، وأنْ يُعطيه نورًا، وأن يُعظِم له نورًا، وأنْ يجعله نورًا. وذكر ابنُ العربي أنه يجتمع من اختلاف الروايات خمسٌ وعشرون خَصْلَةً[(١)].

وقد اختلفتِ الرواياتُ في محَلِّ هذا الدعاء ففي روايةٍ: «وكَانَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا...»، فيُفْهَم من هذه الرواية أنَّ هذا الدعاء كان في صلاته من الليل، وهذه اللفظة اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم، وبوَّب البخاريُّ على هذا الحديث بقوله: باب الدعاء إذا انتبه من الليل. وقدَّمها مسلم وجعلها في أول الباب، ومن المعلوم في طريقته أنه يُقدِّم في أول الباب رواية الحفاظ والمتقنين كما نصَّ على ذلك في مقدمة صحيحه.

ولعلَّ هذا الدعاء كان في السجود فإنه أعظم مواضع الدعاء في الصلاة، خاصَّةً أن صلاة الليل يُشرع فيها الإطالة، وهذا الدعاء فيه شيءٌ من الطول، ويشهد لهذا رواية شُعْبَة عَنْ سَلَمَةَ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عند مسلم: «ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سُجُودِهِ: اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا»، هكذا في رواية شعبة على الشك، وفي رواية سعيد بن مسروق عن سلمة بن كهيل الجزمُ بأنه قال ذلك في سجوده[(٢)]. وقد بوَّب عليه النسائيُّ بقَوْله: باب الدعاء في السجود.

وفي رواية حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عند مسلم: «فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وهُوَ يَقُولُ: اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا...»، فأفادتْ هذه الرواية أنه قال هذا الدعاء في طريقه إلى المسجد وهو ذاهبٌ إلى صلاة

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ١١٨).
(٢) أخرجها ابنُ أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٩)، والنسائي في سننه، برقم (١١٢١).

الفجر. وقد بوَّب ابنُ خزيمة عليه في صحيحه بقوله: باب الدعاء عند الخروج إلى الصلاة[(١)]. وذكره النوويُّ في باب الأذكار التي تُقال عند الخروج للمسجد[(٢)].

وفي رواية ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيّ بنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ عند الترمذي: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ:... وذكر دعاءً طويلًا وفيه: اللهمَّ اجعلْ في قلبي نُورًا...»، ففيها أنه قال هذا الدعاء بعد فراغه من الصلاة.

وفي رواية سعيد بن جُبير عن ابن عباس: كَانَ النَّبِيُّﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فَقَضَى صَلَاتَهُ، يُثْنِي عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ كَلَامِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، واجْعَلْ لِي نُورًا فِي سَمْعِي...»[(٣)].

فهذه الرواياتُ بينها اختلافٌ ظاهر في تحديد وقت هذا الدعاء، ولأجل هذا فإما أن يقال بالترجيح، وحينئذٍ تُقدَّم الرواية الأولى المتفق عليها عند الشيخين أنه كان يقول ذلك في صلاته، ولعله كان في السجود كما جاء في بعض الروايات، وإما أن يقال بالجمع بينها، وحمْلِ ذلك على أنه دعا بهذا الدعاء في هذه المواضع كلِّها، فدعا في صلاته وسجوده، ودعا لمَّا قضى صلاته وفرغ منها، ودعا أيضًا بهذا الدعاء لما خرج إلى صلاة الصبح[(٤)].

وممَّا يجدُر التنبيهُ إليه أن كل هذه الروايات قيَّدَتْ ذلك في صلاة الليل[(٥)]، وهذا في غاية المناسبة، فهوﷺ لما قام في ظُلمة الليل دعا ربَّه بأشياءَ تكون مقابلةً لهذه الظلمة، فدعا ربَّه -عز وجل- أنْ يجعل له أنوارًا في جسده وأعضائه كلها، وأنوارًا تُحيط به كذلك، وهذا يتناسبُ أيضًا مع قولهﷺ: «والصلاةُ نُورٌ»، فهي نُورٌ للمصلي في قلبه، ونورٌ له في قبره، ونورٌ يوم القيامة.

وقد أشار ابنُ بطّال إلى هذا المعنى في شرحه للحديث فقال: كان النبيُّﷺ

(١) انظر: صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب الدعاء عند الخروج إلى الصلاة، برقم (٤٤٨).
(٢) انظر: الأذكار للنووي (ص٣٠).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب دعوات النبيﷺ، برقم (٦٩٦).
(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ١١٧)، ومرقاة المفاتيح (٣/ ٩٠٤)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٦).
(٥) انظر: نيل الأوطار (٢/ ٣٤٤).

يدعو الله -عز وجل- في أوقاتِ ليلِه ونهارِه، وعند نومِه ويقظتِه بنوعٍ من الدعاء يصلحُ لحاله تلك ولِوَقْتِه... ألا ترى سؤالهﷺ ربَّه حين انتبه من نومه أنْ يجعل في قلبه نورًا، وفي بصره نورًا، وفي سمعه وجميع جوارحه؟[(١)].

المبحث السادس: ما جاء في أنَّ المحافظة على الصلاة نورٌ للمؤمن يوم القيامة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولَا بُرْهَانٌ ولَا نَجَاةٌ، وكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وفِرْعَوْنَ وهَامَانَ وأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[(٢)].

وفي هذا الحديث الترغيبُ في المحافظة على الصلوات، والتنصيصُ على أنَّ من معاني كونها نورًا؛ أنها نورٌ لصاحبها يوم القيامة، وقد قيل في تفسير هذا النور: بأنه نورٌ يكون ظاهرًا على وجوههم يوم القيامة، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩] أنَّ هذه السِّيما هي نورٌ يَغْشَى وجوهَهم يوم القيامة، قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: صلاتُهم تبدو في وجوههم يوم القيامة[(٣)]. وقال مقاتل: النُّورُ يوم القيامة[(٤)]. وقال الحسنُ: بياضًا في وجوههم يوم القيامة[(٥)].

وقيل: هو نُورٌ حِسِّيٌّ يُؤْتاهُ المؤمنُ في عرَصاتِ يومِ القيامة، ومنها الصراط،

(١) انظر: شرح صحيح البخاري (١٠/ ٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ١٤١) برقم (٦٥٧٦)، والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، بابٌ في المحافظة على الصلاة، برقم (٢٧٦٣)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الوعيد على ترك الصلاة، برقم (١٤٦٧)، كلُّهم من حديث سعيد بن أبي أيوب، قال: حَدَّثَنِي كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ عَنْ عِيسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدَفِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، به.
وفي إسناده عيسى بن هلال الصدفي: روى عنه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: وُثِّق. وقال ابن حجر: صدوق. انظر: الثقات (٥/ ٢١٣)، والكاشف (٣/ ٥٨٣)، وتقريب التهذيب، (ص٧٧٢)، وبقية رجال الإسناد هم من رجال الشيخين ما عدا كعب بن علقمة فهو من رجال مسلم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٢): «رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ والْأَوْسَطِ، ورِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٢).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المرجع السابق.

وقد تقدم في المبحث الثالث في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد ١٢] ذِكْرُ بعضِ الآثار عن ابن عباسٍ وغيره، التي تدلُّ على هذا المعنى، ولا تَعارُضَ بين هذين القولين، ففَضْلُ الله واسعٌ، وكرامتُه عظيمةٌ لأوليائه يوم القيامة.

وقد جاء في السُّنَّة ما يدلُّ على أنَّ الناس يكونون في ظُلمة يوم القيامة قبل المرور على الصراط، فقد سأل أحدُ اليهود رسول الله ﷺ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَاسُ يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّماوَات؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ[(١)].

ثم يُعْطَى أهلُ الإيمان وأهلُ النفاق نورًا، فيُتِمُّ اللهُ نُورَ أهلِ الإيمان، وينطفئُ نورُ أهلِ النفاق، جاء هذا في حديث جابر -رضي الله عنه- عند مسلم، وفيه: «ويُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ...»[(٢)].

وعن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد ١٢] أنه قال: عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، ومِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً ويُطْفَأُ أُخْرَى[(٣)]. ومثلُ هذا لا يُقال بالرأي، وابن مسعود -رضي الله عنه- ليس معروفًا بالأخذ عن أهل الكتاب، فله حُكْمُ الرفعِ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوقٌ من مائهما، برقم (٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم -كما عند ابن كثير في تفسيره- (١/ ١٩٢)، وبنحوه عند ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٨).

فالصلاةُ شأنُها عظيمٌ جدًّا، ولهذا ذكر بعضُ أهل العلم أنها خُصَّتْ من بين سائر الأعمال بأنها نورٌ في ذاتها، قال ابنُ عِلَّان: «والصلاةُ نُورٌ» أي: محسوسٌ؛ فالصلاة نفسُها تضيءُ لصاحبها في ظلمات الموقف بين يديه، ولم يجئْ في فِعْلٍ مُتعَبَّدٍ به أنه نُورٌ في نفسه سوى الصلاة، فالظاهر أنَّ هذا النورَ خاصٌّ بها[(١)].

وقد رُبِطَ النُّورُ في الصلاة بالمحافظة عليها، ولفظُ «المحافظة» يدخل فيه معانٍ كثيرة، ومن ذلك أداؤها في أوقاتها، وتتميمُ شروطِها وأركانِها وواجباتِها، والخشوعُ فيها، وغيرُ ذلك من المعاني التي دلَّ على اعتبارها الشرع الحنيف.

وقولُه في الحديث: «وبرهانا» أي: دليلًا على محافظته على سائر الطاعات، وقيل: زيادةً في نُورِ إيمانِه، وحُجَّةً واضحةً على كمالِ عِرْفانِه، وقيل: أيْ تُحَاجُّ وتُخاصِمُ عنه[(٢)].

قال ابنُ القيِّم: وفيه نُكتةٌ بديعةٌ، وهو أنَّ تاركَ المحافظة على الصلاة، إما أن يشغله مالُه أو ملكُه أو رياستُه أو تجارتُه، فمن شغله عنها مالُه فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكُه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسةٌ ووزارةٌ فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارتُه فهو مع أُبَيِّ بنِ خلف[(٣)].

المبحث السابع: ما جاء في أنَّ الصلاة عند دخول البيت نورٌ للبيت

عن عَاصِمَ بْنِ عَمْرٍو الْبَجَلِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثٍ: عَنْ صَلاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعًا، وعَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وعَنِ الرَّجُلِ مَا يَصْلُحُ لَهُ مِنِ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَقَالَ: أَسُحَّارٌ أَنْتُمْ؟! لَقَدْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَلاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعًا نُورٌ، فَمَنْ شَاءَ نَوَّرَ

(١) انظر: دليل الفالحين (١/ ١٤٩).
(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٢/ ٥١٥)، وفيض القدير (٣/ ٤٥٣).
(٣) انظر: الصلاة وأحكام تاركها (ص٥١).

بَيْتَهُ»، وقَالَ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ: «يَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاثًا»، وقَالَ فِي الْحَائِضِ: «لَهُ مَا فَوْقَ الْإِزَارِ»[(١)].

وعن السَّائب بن خبَّاب[(٢)] قال: كُنْتُ لا أُصَلِّي إِلاَّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ، وصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ نُورٌ[(٣)].

ففي هذا الحديث وهذا الأثر بيانُ فضل صلاة النافلة في البيت وأنها نورٌ له، وذلك لأنَّ الصلاةَ بما فيها من ذكرٍ وقراءةٍ للقرآن من أسباب حصول البركة في البيوت وطرد الشياطين عنها، ولذلك حثَّ عليه الصلاةُ والسلامُ علَى إعمار البيوت بالصلاة في غير ما حديث، ومن ذلك قولُهﷺ: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ ولا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»[(٤)]. فشبَّهﷺ البيتَ الذي لا يُصَلَّى فيه بالقبر الذي

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٧) برقم (٨٦)، وعبدالرزاق في المصنف (١/ ٢٥٧) بنحوه، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٦١) مختصرًا، ومن طريقه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في التطوع في البيت، برقم (١٣٧٥)، كلهم من حديث عاصم بن عمرو البجلي عن نفرٍ أو عن أحد النفر الذين سألوا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به.
وفي إسناده عاصم بن عمرو، ويقال: ابن عوف البجليّ الكوفي، ذكره العقيلي في الضعفاء، وقال ابن أبي حاتم: سألتُ أبي عنه، فقال: صدوق. وكتبه البخاري في كتاب «الضعفاء» فسمعتُ أبي يقول: يُحوَّل من هناك. وذكره ابنُ حبان في الثقات، وقال الذهبيُّ: لا بأس به إنْ شاء الله. وقال ابنُ حجر: صَدُوقٌ رُمِيَ بالتشيع. وحديثه عن عمر مرسل.
انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٤٨)، والثقات (٥/ ٢٣٦)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٥٣٣)، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٥٦)، وتقريب التهذيب (ص٤٧٣). وفي إسناده جهالةُ هذا الرجل، أو هؤلاء النفر الذين لم يُسَمَّوْا.
وقد رواه ابن ماجه في سننه، برقم (١٣٧٥) من طريق أخرى، وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٦) من حديث زيد بن أبي أُنَيسة عن أبي إسحاق السبيعي عن عاصم بن عمرو البجلي عن عمير مولى آل عمر بن الخطاب قال: جاء نفرٌ من أهل العراق... فذكره. وعمير مولى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: وُثِّق. وقال ابن حجر: مقبول.
انظر: الثقات (٥/ ٢٥٤)، والكاشف (٣/ ٥٥٥)، وتقريب التهذيب (ص٧٥٤).
وقد اختُلف على عاصم بن عمرو في هذا الحديث فرواه كثيرٌ من الرواة عنه عن رجل أو عن النفر الذين سألوا عمر بن الخطاب. ورواه زيد بن أبي أُنيسة عن أبي إسحاق عن عاصم عن عمير مولى عمر أن نفرًا سألوا عمر بن الخطاب.
وذكر الدارقطني في العلل (٢/ ١٩٦) الاختلاف في طرق هذا الحديث ثم قال: والْحَدِيثُ حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ وَمَنْ تَابَعَهُ. ورَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحَدُ الرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَأَلُوا عُمَرَ. وقد صحَّحه ابنُ كثيرٍ بشواهده المتعددة. انظر: مسند الفاروق لابن كثير (ص١٢٨).

(٢) هو السائب بن خبّاب المدني، أبو مسلم، قيل: له صُحْبَةٌ. روى عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت، وروى عنه: محمد بن عمرو بن عطاء، وإسحاق بن سالم، وابنه مسلم بن السائب، أخرج حديثه ابنُ ماجه. قيل: تُوفِّي سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٦٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٧٠)، وتهذيب الكمال (١٠/ ١٨٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٦٠) وبنحوه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم (٤٣٢)، وكتاب

لا يتمكَّن الميِّتُ فيه من العبادة[١]، والمقصود أن لا تكون البيوتُ مهجورةً من الصلاة فيها كالقبور، ولذلك نصَّ العلماءُ على كراهية إخلاء البيوت من الصلاة فيها، وقد بوَّب ابنُ خزيمة على هذا الحديث بقوله: بَابُ الْأَمْرِ بِصَلَاةِ التَّطَوُّعِ فِي الْبُيُوتِ، والنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْبُيُوتِ قُبُورًا فَيَتَحَامَى الصَّلَاةَ فِيهِنَّ، وهَذَا الْخَبَرُ دَالٌّ عَلَى الزَّجْرِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ[٢]. وقال ابنُ رجب: فدلَّ على أنَّ القبورَ ليس فيها صلاةٌ، وأنَّ البيتَ يُكْرَهُ إخلاؤه عن الصلاة، لما فيه من تشبيهٍ بالمقابر الخالية عن الصلاة[٣].

وهذا الحديثُ محمولٌ عند أغلب العلماء على صلاة النافلة؛ وذلك لأن النبيﷺ قد سَنَّ الصلواتِ في الجماعة، ورغَّب في ذلك، وتوعَّد من تخلَّف عنها بغيرِ عُذْرٍ[٤]، قال القرطبيُّ: «مِنْ» هُنا للتبعيض، ويعني به النوافل؛ بدليل قولهﷺ في الحديث الآخر:

«إذا قضى أحدُكم الصلاةَ في مسجده؛ فليجعلْ لبَيْتِه نَصِيبًا من صلاته»[٥]. وتَتِمَّةُ الحديثِ الذي ذكره القرطبيُّ: «فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرًا»[٦]. وقال النوويُّ: الصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ النَّافِلَةُ، وجَمِيعُ أَحَادِيثِ الْبَابِ تَقْتَضِيهِ، ولا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى الْفَرِيضَةِ[٧]. ومما يُؤيِّد ذلك قولُه عليه الصلاة والسلام: «... فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»[٨].

وإنَّما جُعِلَتْ صلاةُ النافلة في البيت خَيْرًا ونُورًا؛ لِكَوْنِها أَخْفَى وأَبْعَدَ مِنَ

التهجُّد، باب التطوع في البيت، برقم (١١٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم (٧٧٧).

(١) انظر: عمدة القاري (٤/ ١٨٧).

(٢) انظر: صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة (٢/ ٢١٢).

(٣) انظر: فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣٢٣).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ١٧٦).

(٥) انظر: المفهم (٢/ ٤١١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم (٧٧٨).

(٧) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٦٧).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب صلاة الليل، برقم (٧٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم (٧٨١).

الرِّيَاءِ وأَصْوَنَ مِنَ الْمُحْبِطَاتِ، ولِيَتَبَرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ وتَنْزِلَ فِيهِ الرَّحْمَةُ والْمَلَائِكَةُ ويَنْفِرَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ[(١)]. قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، ويَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، ويَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ»[(٢)]. وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا إلى النبي ﷺ قوله: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[(٣)]. ولا شك أنَّ صلاة النافلة في البيت يتحقَّقُ فيها هذا المعنى؛ لأنه لا بدَّ فيها من قراءة القرآن، خصوصًا أنَّ صلاة النافلة يُشرعُ فيها الإطالة.

ومن المعاني التي جَعَلَتْ صلاةَ النافلة في البيت خَيْرًا ونُورًا؛ أنَّ فيها تعويدًا لأهل البيت على الطاعة، وتعليمًا لكيفية الصلاة، والتعليمُ بالمُعاينةِ أعظمُ من التعليم بالقول[(٤)].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٦٧).

(٢) أخرجه الدارميُّ في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، برقم (٣٣٥٢) من حديث مُعَاذُ بْنُ هَانِئٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ عِنَانٍ الْحَنَفِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: ... فذكره. ورجال إسناده ثقات، وهو موقوفٌ على أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه بنحوه عبدالرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٨) عن عبدالرحمن بن سابط مرفوعا، وهو مرسل.
ورُوِيَ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولكنه لا يصح. انظر: علل الحديث لابن أبي حاتم (٤/ ٥٩٠)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١٠/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم (٧٨٠).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ١٧٧)، والتمهيد (٢٢/ ٣٣٢).

الخاتمة

تبيَّن لنا من خلال هذه الدراسة عظيمُ شأنِ هذه العبادة، وعظيمُ أثرِها على حياة العبد، وأنها أعظمُ مصدرٍ للنور الذي يحتاجه العبد في دنياه وأُخراه، فالصلاة موصوفة بأنها نور، فهي نورٌ لقلبِ صاحبِها وبصيرتِه؛ تُرشِدُه إلى الخير وتنهاهُ عن الفحشاء والمنكر، ونورٌ له في وجهه أيضًا في الدنيا ويوم القيامة، والوضوء للصلاة نورٌ للمتوضِّئين، وسِيما يُعرفون بها يوم القيامة، والمَشْيُ إليها في الظُّلم يستحقُّ به صاحبُه النورَ في مواقفِ يومِ القيامة، وأعظمُها عند المرور على الصراط، وبيوت الله التي تؤدَّى الصلاة فيها هي مصدر عظيمٌ لهذا النور، وأداءُ الصلاة في البيوت سببٌ للبركة وحصولِ النورِ فيها، والصلاةُ نورٌ لصاحبها في قبره، ونورٌ له كذلك يوم حشره ونشره.

وقد عرفنا أيضًا من خلال دراستنا لهذه الأحاديث؛ أنَّ بين نور الدنيا والآخرة تلازُمًا لا ينفكُّ، ومما يدل على هذا التلازم قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور ﴿٤٠﴾] فقد قيل في تفسير الآية: إنَّ من لم يجعل الله له نورًا يهتدي به في الدنيا؛ فإنه سيُحْرَمُ النُّورَ في الآخرة[(١)].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد ﴿٢٨﴾] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ومُقَاتِلٌ: يَعْنِي عَلَى الصِّرَاطِ، كَمَا قَالَ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التَّحْرِيمِ ﴿٨﴾][(٢)].

قال ابنُ القيِّم في تفسير هذه الآية: وفي قَوْلِهِ: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ إِعْلَامٌ بِأَنَّ تَصَرُّفَهُمْ وتَقَلُّبَهُمُ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ إِنَّمَا هُوَ النُّورُ، وأَنَّ مَشْيَهُمْ بِغَيْرِ النُّورِ غَيْرُ مُجْدٍ عَلَيْهِمْ، ولا نَافِعٍ لَهُمْ بَلْ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وفِيهِ أَنَّ أَهْلَ النُّورِ هُمْ أَهْلُ الْمَشْيِ فِي

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٨٨).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٣٦).

النَّاسِ، ومَنْ سِوَاهُمْ أَهْلُ الزَّمَانَةِ والِانْقِطَاعِ فَلَا مَشْيَ لِقُلُوبِهِمْ، ولا لِأَحْوَالِهِمْ، ولا لِأَقْوَالِهِمْ، ولا لِأَقْدَامِهِمْ إِلَى الطَّاعَاتِ، وكَذَلِكَ لا تَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ إِذَا مَشَتْ بِأَهْلِ الْأَنْوَارِ أَقْدَامُهُمْ، وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ نُكْتَةٌ بَدِيعَةٌ، وهِيَ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الصِّرَاطِ بِأَنْوَارِهِمْ كَمَا يَمْشُونَ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ في الدُّنْيَا، ومَنْ لَا نُورَ لَهُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُلَ قَدَمًا عَنْ قَدَمٍ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ[1].

وينبغي للمسلم تحصيلُ هذه الأنوار التي جعلها الله في الصلاة خصوصًا وفي سائر الأعمال عمومًا، حتى يهتديَ في دنياه، ويسعدَ في أُخراه، ونسألُ الله -سبحانه وتعالى- أن يُوفِّقَنا للعمل الصالح الذي يرضيه عنَّا، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٤٤).

المصادر والمراجع

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.

الاستذكار، ليوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، ١٤٠٦هـ.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ.

تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج جمال الدين المِزِّي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، ١٤٢٢هـ.

جامع العلوم والحكم، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دائرة المعارف العثمانية.

سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي.

سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.

السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ.

سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

شرح السُّنَّة، للحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

شرح صحيح البخاري، لابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إستانبول ١٣٣٤هـ).

العلل، لابن أبي حاتم، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف سعد بن عبد الله الحميد، مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ.

علل الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي ومحمد الدباسي، دار طيبة، ١٤٠٥هـ.

العلل الكبير، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: صبحي السامرائي وآخرين، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

المحلى بالآثار، لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الفكر.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، الهند، ١٤٠٤هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

مُصنَّف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، دار القبلة بجدة، ١٤٢٧هـ.

مصنف عبدالرزاق، لعبدالرزاق بن همَّام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ.

معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

معالم السُّنَن، لحمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ.

المغني، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، دار ابن كثير، ١٤٣١هـ.

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

موطأ مالك، لمالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، ١٣٨٢هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

وقف السنة والتراث النبوي

المقر الرئيسي: السعودية: جدة - جامعة الملك عبدالعزيز
مبنى رقم 3831، ص ب 23421 - الرمز البريدي 3799

إدارة المركز: info@alsunan.com إدارة المجلة: journal@alsunan.com

+966544179454 c4sunnah
@c4sunnah www.alsunan.com

Arcif Analytics

doi

eISSN 2785-8499